يخشى وقد قال المغيرة بن شعبة التارك للاخوان متروك ومن كان كذلك فهو
كالصورة الممثلة يروعك حسنها ويخونك نفعها فلا هو مشكور لمنع خيره ولا
هو مذموم لقمع شره وان كان بالذم اجدر وقال الشاعر

واسوأ ايام الفتى يوم لا ترى ... له احدا يزري عليه وينكر

غير ان فساد الوقت وتغير اهله يوجب شكر من كان شره ممنوعا وان كان خيره
مقطوعا ... كما قال المتنبي

انا لفي زمن ترك القبيح به ... من اكثر الناس احسان واجمال

واما من يستعين ولا يعين فهو لئيم كل مهين مستذل قد قطع عنه الرغبة وبسط
فيه الرهبة فلا خيره يرجى ولا شره يؤمن وحسبك من رجل يهانه يستثقل عند
اقلاله ويقل عند استقلاله فليس لمثله في الاخا حظ ولا في الوداد نصيب
وهو ممن جعله المامون من ادا الاخوان لا من دوايهم ومن سمهم لا من غذايهم قال
بعض الحكما شر ما في الكريم ان يمنعك خيره وخير ما في اللئيم ان يكف عنك
شره قال ابن الرومي شعرا

عذرنا النخل في ابداء شوك ... يرد به الانامل عن جناه
فما للعوسج الملعون ابدا ... لنا شوكا بلا ثمر نراه

واما من يعين ولا يستعين فهو كريم الطبع مشكور الصنع قد حاز فضيلتي الابتدا
والاكتفا فلا يرى ثقيلا في نايبة ولا يقعد عن نهضة في معونة فهذا
اشرف الاخوان نفسا واكرمهم طبعا فينبغي لمن اوجده الزمان مثله وقل ان
يكون له مثل لانه البر الكريم والدر اليتيم ان يثني عليه خنصره ويعض عليه
بناجذه ويكون به اشد ضنا منه بنفايس امواله وسني ذخايره لان نفع الاخوان
عام ونفع الاموال خاص وما كان اعم نفعا فهو بالادخار احق وقد قال الفرزدق

يمضي اخوك فلا تلقى له خلفا ... والمال بعد ذهاب المال مكتسب

وقال اخر

لكل شي عدمته عوض ... وما لفقد الصديق من عوض

ثم

ثم لا ينبغي ان يزهد فيه لخلق او خلقين يكرههما منه اذا رضي بسائر اخلاقه وحمد
اكثر شيمه لان اليسير مغفور والكمال معوز وقد قال الكندي
كيف تريد من صديقك خلقا واحدا وهو ذو طباع اربع مع ان نفس الانسان
التي هي اخص النفوس به ومدبرة باختياره وارادته لا تعطيه قيادها في كل
ما يريد ولا تجيبه الى طاعته في كل ما يحب فكيف بنفس غيره وحسبك ان يكون لك
من اخيك اكثره وقد قال ابو الدرداء معاتبة الاخ خير من فقده ومن لك باخيك كله
واخذه ابو العتاهية فقال

اخي من لك من بني الدنيا ... بكل اخيك من كله
فاسبق ببعضك لا يملكه ... كلا ثنا اعطيت كلك

وقال ابو تمام الطائي

ما غبن المغبون مثل عقله ... من لك يوما باخيك كله

وقال بعض الحكما طلب الانصاف من قلة الانصاف قال بعض البلغا لا تزهدن في رجل
حمدت سيرته وارتضيت وتيرته وعرفت فضله وخبرت عقله بعيب خفي يحيط
به كثرة فضايله او ذنب صغير تستغفر له قوة وسايله فانك لن تجد ما بقيت
مهذبا لا يكون فيه عيب ولا يقع منه ذنب واعتبر بنفسك بعد ان لا تراها بعين الرضى
ولا تجري فيها على حكم الهوى فان في اعتبارك بها واختبارك لها ما يؤيسك مما تطلب
ويعطفك على من يذنب وقال الشاعر وقال النابغة الذبياني

ولست بمستبق اخا لا تلمه ... على شعث اي الرجال المهذب

وليس ينقض هذا القول ما وصفناه من اختياره واختيار الخصال الاربع فيه
لان ما اعوز معفو عنه وهكذا لا ينبغي ان يوحشه فترة يجدها منه ولا ان يسي
به الظن في نبوة تكون منه ما لم يتحقق تغيره ولم يتيقن تنكره وليصرف ذلك
الى فترة النفوس واستراحات الخواطر فان الانسان قد يتغير عن مراعات نفسه
التي هي اخص النفوس به ولا يكون ذلك من عداوة لها ولا ملل منه وقد
قال في منثور الحكم لا يفسدك الظن على صديقك وقد اصلحك اليقين له

كفى المرء نبلا ان تعد معايبه محاسن

تنبيه كيف انظر وانصف فيما قاله الكندي من صديق تطلب خلقا واحدا وهو ذو طباع اربع

انظر قول بعض البلغا لا تزهدن في رجل حمدت سيرته

وعلى هذا المثال الانسان ... ذكرنا

الخواطر